

الحلقة الأولى

(كذبوا علينا... ففضحناهم بالتاريخ)

مذكرات (همفر) في الميزان

● بقلم: مالك بن حُسين

وقفت على كتاب موسوم بـ (مذكرات مستر همفر)[1]، وهذا الاسم ليس بالغريب؛ فقد كنت أول ما قرأت عنه في «مجلة منار الهدى» التي يصدرها المكتب الإعلامي في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، (العدد ٢٨)، رمضان ١٤١٥هـ ـ شباط ١٩٩٥، وهي مجلة يصدرها جماعة الأحباش (الهَرَريّين)؛

ولَمَّا قرأت ذلك المقال، تطلَّعَتْ نفسي للاطلاع على كتاب أو مذكرات هذا الجاسوس الإنجليزي - نفسِها -؛ حتى أنظر فيه، وأعرف مدى صدق ما نُسِبَ للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في هذه المذكرات.

وبعد قراءة هذه المذكرات تبيَّن لي أنَّها

(١) وقفت على نسختين لهذه (المذكرات)؛

الأولى باسم: «اعترافات الجاسوس الإنجليزي» الطبعة الرابعة، قد طبعت طبعة جديدة بالأوفست وقف الإخلاص، تطلب من مكتبة الحقيقة بشارع الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول - تركيا. هجري قمري (١٤١٣)، هجري شمسي (١٣٧٠)، ميلادي (١٩٩٢)؛ تقع في (١٠٣) صفحة من القطع الوسط، وبآخِرها ملحق بعنوان: (عداوة الإنكليز للإسلام) (ص١٠٤ - ١٤٨)، وملحق آخر بعنوان (خلاصة الكلام) (١٤٩ - ١٨٦).

الثانية باسم: «سيطرة الإنكليز ودعمهم لمحمد بن عبدالوهاب»، أو «مُذكرات مستر همفر الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية».

نقله إلى العربية الدكتور (م. ع. خ)، تقع في (٨٥) صفحة من القطع الوسط! ولا يوجد عليها أي معلومات عن دار الطباعة أو سنة الطبع!!

كـذب من أصلهـا ، وأنَّ (همـفـر) - هذا - شخصية وهميَّة ، فأحببت أن أُطلع إخواني على ما وقفت عليه ؛ حتى يكون هذا عوناً لهم في الدِّفـاع عن هذا الإمـام - رحـمـه الله - ، وليدفعوا بها في نحر كل مبتدع ؛ ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ [الإسراء : ٨١] .

قال الله - تعالى - : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات : ٦] .

في هذه الآية درس عملي للفئة المؤمنة ؛ التي تحرص على دينها وعلاقاتها بإخوانها المؤمنين ، بأن تتوثَّق من كلِّ إشاعة ترمي إلى خلخلة الصفِّ ، وبذر الشحناء ، وإتاحة الفرصة للفُرقة[1] .

وما زال أعداء (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - يُحاولون بشتى الطرق والوسائل تشويه (دعوته الإصلاحية)؛ وبضاعتهم مزجاة، ليس فيها إلا (الكذب) و(الافتراء)، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فيا طالب الحق ! رسائل الإمام المجدِّد (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - ومؤلفاتُه مطبوعة على النحو التالي :

القسم الأول: العقيدة ؛ مجلد . **القسم الثاني** : الفقه ؛ مجلّدان . **القسم الثالث** : «مختصر سيرة الرسول ﷺ» ، والفتاوى ؛ مجلد . **القسم الرابع** : التفسير ، ومختصر «زاد المعاد» ؛ مجلد . **القسم الخامس** : الرسائل الشخصية ؛ مجلد . قسم الحديث : خمس مجلدات . ملحق المصنفات ؛ مجلد .

فهذه (اثنا عشر مجلداً) ، جمعتها لجنة علميَّة متخصِّصة ، منبثقة من جامعة (الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ، وصنَّفها وأعدَّها للتصحيح تمهيداً لطبعها : الدكتور (عبدالعزيز بن زيد الرُّومي) ، والدكتور (محمد بلتاجي) ، والدكتور (سيد حجاب) ، وطبعت (بمطابع الرياض) .

فمن كان طالباً للحقِّ ؛ فعليه أن يُقارن بين كلام الإمام - رحمه الله - وبين كلام خصومه ، فهذه كتبه ورسائله مطبوعة ، فما كان فيها من حقٍّ قبلناه ، وما كان فيها من خطأ ، ومُخالفة للصواب رددناه ، ولا نتعصَّب لأحدٍ ،

(١) «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» : (ص٣٩) د . محمد بن سعد الشويعر .

(٢) قال الإمام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - : «لست - ولله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي ، أو فقيه ، أو متكلّم ، أو إمام من الأئمة الذين أُعظِّمُهم ؛ مثل : ابن القيم ، والذهبي ، وابن كثير ، وغيرهم ؛ بل أدعو إلى الله - وحده لا شريك له - ، وأدعو إلى سُنَّة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم ، وأرجو أني لا أردُّ الحقَّ إذا أتاني ؛ =

كائناً من كان ؛ إلا الذي لا ينطق عن الهوى ، الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ[٢] .

أمَّا أن نعتمد على كلام (كافر نصراني . . نكرة مجهول) ؛ كان يشرب الكأس إلى الثُّمالة[١] ، بل هو يذكر عن نفسه الكذب[٢] .

ومن جعل الغراب له دليلاً
يَمُرُّ به على جِيَفِ الكلاب

كيف يكون هذا ؛ والذي يتَّضح من رسائل وردود الإمام - رحمه الله - أنَّ فيها نفياً وتفنيداً لِمَا أُلصق بدعوته من تُهم وأكاذيب ؛ لم يقلها ؛ بل نفاها ، وكرَّر مراراً القولَ : «هذا بهتان عظيم»[٣] .

ورحم الله الإمام الذهبي القائل : «ولم نر ذلك في كتبه»[٤] ؛ وذلك لَمَّا حكى أموراً نقلها بعضهم قد اتُّهم بها الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - .

وإنني أقول : إنَّ ما ورد في هذه (المذكرات) هو محضُ هُراءٍ ، وكلامٌ عارٍ عن الدليل ، لا ينطلي إلا على أحد رجلين :

الأول : جاهل جهلاً مركباً ، غبيٌّ لا يُفرِّق ما بين كوعه وكرسوعه .

والثاني : صاحب هوىً مبتدع ، عدوٌّ لدعوة التوحيد .

فاتقوا الله ؛ **فإن لحوم العلماء مسمومة، وسنَّة الله في منتقصيهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثَّلب؛ ابتلاه الله قبل موته بموت**

= بل أُشهد الله وملائكته وجميع خلقه : إن أتانا منكم كلمة من الحقِّ لأقبلنَّها على الرأس والعين ، ولأضربنَّ الجدار بكلِّ ما خالفها من أقوال أئمتي ؛ حاشا رسول الله ﷺ ؛ فإنه لا يقول إلا الحقَّ . . .» اهـ (القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب - الرسائل الشخصية) : (ص٢٥٢) .

(١) كما في (ص١٤ ، ١٩) من «مذكَّراته» .

(٢) كما في (ص١٥ ، ١٨ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٤) من «مذكَّراته» ! .

(٣) قال شيخ الإسلام (ابن تيمية) - رحمه الله - : «لم يزل الله - سبحانه وتعالى - يقيم لتجديد الدِّين من الأسباب ما يكون مُقتضياً لظهوره ؛ كما وعد به في الكتاب ؛ فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده ، ويعرف به مساوئ الكفر ومفاسده ، ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدِّين ، وبيان حقيقة أنباء المرسلين ، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين . . . ؛ وذلك أن الحق - إذا جُحد وعُورض بالشبهات - أقام الله - تعالى - له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات ، بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة ، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة . . . قال - تعالى - : ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميز الخبيث من الطيب﴾ [آل عمران : ١٧٩] اهـ . «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» : (١/٨٤ - ٨٧) .

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤/٢٧٧) .

القلب . . . نسأل الله السَّلامة والعافية .

■ **مذكرات (همفر) باطلة من أصلها و(همفر) شخصية وهميَّة:**

وبعد دراستي لهذه (المذكرات) تبيَّن لي أنَّ هذه المذكرات من نسج خيال (فَرْد) أو (مجموعة) ؛ المقصود منها تشويه دعوة (الإمام محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - بالكذب والافتراء ، والأدلة على ما أقول كثيرة ؛ إليك بعضاً منها :

أولاً : بِتَتَبُّع التواريخ المذكورة في (المذكرات) يظهر لنا أنَّ (همفر!!) لَمَّا التقى بالشيخ - رحمه الله - ؛ كان عمر الشيخ - الافتراضي - وقتئذ (عشر سنين !!) ، وهذا أمر لا يتناسب - بل يتناقض - مع ما ذُكر في المذكرات (ص٣٠) من أنَّ (همفر) تعرَّف : «على شاب كان يتردد على هذا الدكان ، يعرف اللغات الثلاث ؛ التركية والفارسية والعربية ، كان في زي طلبة العلوم الدينية ، وكان يسمى بـ(محمد بن عبدالوهاب) وكان شاباً طموحاً للغاية» اهـ .

وإليك تفصيلَ ذلك بالدليل :

- ذكر في (ص١٣) : أنَّ وزارة المستعمرات (البريطانية) أوفدته إلى الآستانة (مركز الخلافة الإسلامية) سنة (١٧١٠م - ١١٢٢هـ) .

- ذكر في (ص١٨) أنه مكث في الآستانة سنتين ؛ ثم رجع إلى لندن حسب الأوامر ؛ لتقديم تقرير مُفصل عن الأوضاع في عاصمة الخلافة .

- ذكر في (ص٢٢) أنَّه مكث في لندن ستة أشهر .

- ذكر في (ص٢٢) أنَّه توجه إلى

> إنَّ ما ورد في هذه «المذكرات» هو محضُ هُراء، وكلامٌ عارٍ عن الدليل، لا ينطلي إلا على أحد رجلين: الأول: جاهلٌ جهلاً مركباً، غبيٌّ لا يُفرِّق ما بين كوعه وكرسوعه. والثاني: صاحب هوىً مبتدع، عدوٌّ لدعوة التوحيد.

البصرة ، وأخذت منه الرحلة ستة أشهر .

- وفي أثناء وجوده في البصرة التقى بالشيخ - رحمه الله - .

- يكون مجموع التواريخ الماضية هو (١٧١٣) أي : سنة (١١٢٥هـ)[1] ، والشيخ - رحمه الله - ولد سنة (١٧٠٣م) (١١١٥هـ) ؛ فيكون عمر الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - وقت لقاء (همفر) به ؛ عشر سنين !! وهذا واضح جداً في بطلان هذه المذكرات جملةً وتفصيلاً .

ثانياً : ذُكر في (المذكرات) (ص١٠٠) أنَّ الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - أظهر دعوته في سنة (١١٤٣) هجرية ، وهذا كذب واضح ؛ حيث إنَّ تاريخ إعلان الشيخ - رحمه الله - دعوته هو نفسه التاريخ الذي توفي فيه والده ، وهو سنة (١١٥٣هـ)[2] ، فانظر إلى هذا التفاوت الواضح في التاريخ .

ثالثاً : إنَّ موقف (الحكومة البريطانية) من دعوة الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) ؛ ليس التأييد والدَّعم ؛ وإنَّما هو العداء والمحاربة - كما سيأتي معنا بدليله - .

رابعاً : لا نَجِدُ ذكراً لهذه (المذكرات) في سالف الزمان ؛ رغم حرص أعداء هذه (الدَّعوة المُباركة) على تشويهها ، ونشر كل ما يُسيء إليها ، وخروجها في هذا الوقت المُتأخر دليل على افترائها وتلفيقها .

خامساً : (همفر) هذا (نكرةٌ) لا يُعرَف ؛ فأين هي المعلومات التفصيليَّة عنه ؛ من حيث اسمُه ، ورتبتُه ، وما يتعلَّق بوظيفته ومهمَّته من كتب ووثائق (الحكومة البريطانية)؟!

سادساً : إنَّ الذي يقرأ هذه (المذكرات) يجزم بأنَّ مؤلفها ليس نصرانياً ؛ لوجود كثير من العبارات التي فيها الطعن والانتقاص (بالدِّين النصراني) و(الإنجليز) أنفسهم ، وبعض - العبارات التي فيها مدح (الإسلام) ؛ من ذلك - على سبيل المثال - انظر : (ص١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٦) .

سابعاً : النسختان المطبوعتان ترجمةً لهذه (المذكرات) ، لم يُذكر فيهما أية

(١) وهذا ما وقع به التصريح في (مجلة منار الهدى) ؛ (الحبشيَّة الهرريَّة) (العدد ٢٨) ، رمضان ١٤١٥هـ - شباط ١٩٩٥ ، في (ص٦٢) : «وفي عام (١١٢٥هـ - ١٧١٣) وقع في شراك الجاسوس الإنجليزي (همفر) وأصبح آلة لمساعي الإنكليز لمحو الإسلام ، ونشر عبدالوهاب ما أملى عليه الجاسوس من الأكاذيب باسم (الوهابية)» . اهـ .

فسبحان من أعمى أبصارهم وبصائرهم . . . !!!

(٢) انظر : «عنوان المجد في تاريخ نجد» لعثمان بن بشر : (٢٩/١) .

معلومات عن هذه (المذكرات) ؛ من حيث النسخة الأصلية التي تُرجمَت عنها ، وهل هي مطبوعة أم مخطوطة؟! وبأيّ لغة؟!

ثامناً : المُترجِمُ نكرة ؛ ففي النسخة (أ) لم يُذكر عنه أيُّ شيء ، وفي النسخة (ب) رمز لنفسه بـ(د . م . ع . خ) !!

تاسعاً : كثرة الفروق بين (النسختين) (المترجمتين) ، وبعضها فروق جوهرية .

عاشراً : في النسخة (ب) تاريخ ترجمة هو : (٢٥ حزيران ١٩٩٠) ؛ فهل مثل هذه (الوثائق المهمَّة) تبقى حبيسة ، ولا ترى النُّور إلا بعد (١٩٩) عاماً من وفاة الشيخ - رحمه الله -؟!!

الحادي عشر : اتَّفقت (النسختان) على كتابة تاريخ (١٩٧٣/١/٢) في نهاية (المذكرات) ؛ وهذا التاريخ لا أدري ما هو : هل هو تاريخ كتابة هذه (المذكرات) من (همفر) - كما هو ظاهر - !!

- وهذا يؤكِّد كذب هذه المذكرات ؛ إذ إنَّ وفاة الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - قبل هذا التاريخ بـ (١٧٩) عاماً !! - .

أم هو تاريخ افتراء واختلاق هذه (المذكرات)؟!!

الثاني عشر : إنَّ ما في كُتب الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) كلّه يُكذِّب ما ورد في هذه المذكرات ؛ كما سيأتي تفصيله - إن شاء الله - في الصفحات القادمة .

الثالث عشر : إنَّ واقع الشيخ - رحمه الله - وواقع دعوته ؛ ينفي ذلك كلَّه .

الرابع عشر : شهادة أعداء الشيخ - رحمه الله - ؛ من مسلمين وكفار تنفي عنه ما في هذه المذكرات ، وهذا أمر مستفيض ، ولو تتبعناه لطال بنا البحث .

■ موقف (الإنجليز) من دعوة الإمام (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله -:

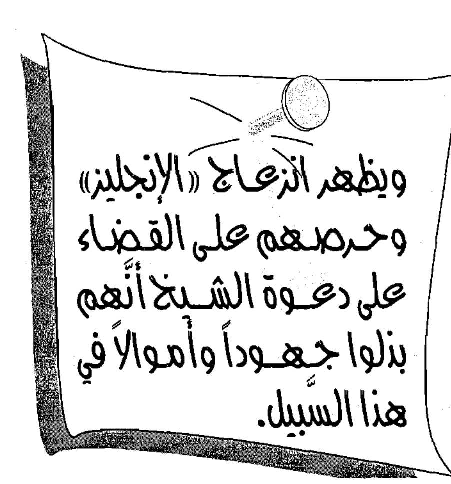
لمس الإنجليز آثار دعوة الشيخ - رحمه الله - السَّلفية ، في أعظم مكان يعتزُّون باستعماره والاستيلاء على خيراته ، عندما تلقَّفها الهنود على يد الدَّاعية الإسلامي (أحمد بن عرفان) ، الشهير (بأحمد باريلي) ، وأتباعه ، وفي حركات أُخرى مثل : (الفراتقيين وتيتومان) (نزار علي)[1] ، تلك الدَّعوات التي ناوأت (القاديانيَّة) الكافرة ؛ التي أرادها (الإنجليز) واجهة إسلامية تُحقق مآربهم ، وينضوي تحتها من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه .

(١) انظر كتاب : «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية» - لمحمد كمال جمعة - (ص٦٣ - ٨٧) .

ويظهر انزعاج (الإنجليز) وحرصهم على القضاء على دعوة الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) - رحمه الله - ؛ - التي تُمثّل يقظة جديدة في الدِّين الإسلامي ، ودعوة إلى فهمه من مصادره الصّافية ؛ كتاب الله وسنَّة رسوله محمد ﷺ - ، أنَّهم بذلوا جهوداً وأموالاً في هذا السَّبيل .

وقد أبانت رحلة (سادلير) الضابط البريطاني ، وقائد الفوج (٤٧) ، ومبعوث (الحكومة البريطانية) في (الهند) ؛ الذي قام برحلة شاقَّة من (الهند) إلى أن وصل (الرياض) ، ووقف على أطلال (الدَّرعيَّة) ؛ التي هدمها (إبراهيم باشا) ، بناءً على تخطيط اشترك في الإعداد له (الإنجليز) ؛ ليطمئن على تفتيت (الحكومة الإسلاميَّة) التي تحرَّكت في (الجزيرة) لإيقاظ المسلمين ، ولِيقضي على قاعدة (الدَّعوة السَّلفيَّة) بنفسه ؛ لِما أحدثته من خوف وقلق في داخل (الحكومة الإنجليزيَّة) خوفاً على مصالحها ، وقد كان في (رحلته) هذه ضمن قافلة كبيرة أغلبها من الأتراك ، أبانت هذه (الرِّحلة) جانباً مهمّاً في التعاطف والحرص على القضاء على هذه (الدَّعوة) ؛ التي تُمثّل يقظة إسلامية توحِّد المسلمين ، كما أبانت عن حقد (الإنجليز) على (الإسلام) ، ذلك الحقد المُخطّط له من (التَّبشير الكنسي) المُوجَّه بأفكار (المستشرقين) ودسائسهم .

فقد مرَّ (سادلير) (بالدَّرعية) متخفّياً في (١٣) أغسطس من عام (١٨١٩م)[١] ، وبعد أن ارتاحت نفسه ، شدَّ الرِّحال لاحقاً (بإبراهيم باشا) ، حتى أدركه في (آبار علي) ، على مقربة من (المدينة المنورة) ؛ ليُقدِّم له التَّهاني بهذا النَّصر[٢] ، مقرونة بهدايا (حكومة الهند الشرقيَّة = الحكومة البريطانية) .



(١) انظر : «رحلة عبر الجزيرة العربيَّة» لسادلير : (ص٨٥ - ٨٧ وص٩٦ - ٩٩ وص١٠٥ - ١١٠ وص١٤٩ وص١٥٦ - ١٥٩) . ترجمة : أنس الرِّفاعي ، والناشر : سعود بن غانم العجمي .

(٢) انظر : «محمد بن عبدالوهاب ؛ مصلح مظلوم ومفترى عليه» لمسعود النَّدوي : (ص١٥٠ - ١٥٤) .